لقد عيل صبر الرجل بعد كل هذه الصرخات والنداءات، فعمد الى التقريع علَّ الاحساس يتحرك ف يالذين فقدوا احساسهم: «انتم ألفتم العبودية ولم تذوقوا طعم الحرية منذ عهد طويل لتطلبوها وتضحوا في سبيلها، ولذلك يجب ان يثقل نير الاستعباد حتى لا تعودوا تطيقون حمله»(٤٢).

ويعجب نصار من تمادي بريطانيا في التعاطف مع اليهود، ويرى ان سخاءها قد فاق سخاء الله: «اما سادتنا البريطانيون فزادوا على عطاء الله، وصاروا، كلما اقتتل العرب او قاتلوا من اجل حريتهم، يوسعون للصهيونيين الوطن القومي، فقد تعدوا الى الشرق العربي بعد سقوط الشام، والى معان والعقبة بعد حرب الحجاز، ثم وسعوا الحدود بالاتفاق مع فرنسا في الشمال. والآن يسعون بمناسبة ثورة سوريا لتوسيعه الى الليطاني ودرعا. والله يستر سوريا والعراق، ومع ذلك فاليهود يتذمرون من البريطانيين كما كان شأنهم مع موسى وربه. فهل البريطانيون اكثر عناية بفرقة الصهيونيين من الله سبحانه وتعالى لشعبه الخاص؟ وهل هذه كلها محبة من البريطانيين للصهيونيين؟»(٤٣).

ومع كل هذا السخاء البريطاني استمر الوجهاء يتنافسون على المناصب. «فريقان في فلسطين يتنازعان على عقوبة المجلس الاسلامي، وفريق مشاهد. الرواية مأساة، والمشاهدون اقل كثيرا من الممثلين واكثرهم يتألمون» (٤٤).

ومن المعروف ان طبقة الوجهاء هي من ابناء العائلات الكبيرة في المدن، وكان معظمها يتعاطى التجارة، فلم تكن عملية انتقال الاراضي لليهود تلحق ضرراً مباشراً بها. لذا جاءت معظم الثورات فلاحية، على اعتبار ان الارض رأسمال الفلاح. ولقد فرض الفلاحون على الوجاهات القيادية الرضوخ لتبني الثورات، وهكذا كانت الجماهير الفلاحية الريفية متخطية قياداتها في المدن.

ينصرم عام ١٩٢٥ حاملا في احشائه مآسي ومحن، فاراض كثيرة انتقلت لليهود، ومهاجرون غرباء كثر وفدوا، والضائقة الاقتصادية باتت خانقة: «نودع سنة ١٩٢٥ والحزن والاسف يملآن قلوبنا ونفوسنا. فقد بيعت في غضونها مئات الوف من دونمات الاراضي للصهيونيين، ودخل فلسطين عدد كبير من مهاجريهم، وضعف موقف الوطنيين التجاري، وعمت الضائقة الاقتصادية الجميع، ما عدا باعة الاراضي وسماسرتها والذين يؤجرون المخازن والمنازل»(٤٥).

لقد ادركت بريطانيا المرض المستشري بهذه الوجاهات فراحت تجتذبهم بالوظائف. «عهدوا بكثير من الوظائف الى عبدتها من ابناء العائلات الكبرى ليستميلوهم ويستعينوا بهم وليستخدموهم فيما يريدون»(٤٦).

وهذا الجو الفاسد غذته بريطانيا فازداد فسادا : «في فلسطين واسفاه فساد ودسائس، وخصومات ومنازعات وتحزبات من اجل خمس كراسي يتبعها بضع وظائف لا تسمن ولا تغني من جوع، في فلسطين زعامات تعمل على قتل المزايا واضاعة الاوطان والاقدار»(٤٧).

ويبقى هنا موقفي اليسار واليمين المتطرف، حيث تدعو قوى المعسكر الاول وخصوصا راكاح والقائمة التقدمية للسلام الى «انسحاب القوات الاسرائيلية فورا ودون قيد او شرط من جميع الاراضي اللبنانية»(١٠). وتدعو قوى المعسكر الثاني الى البقاء في الجنوب، حتى نهر الاولي، مع تشديد السيطرة على هذه المنطقة بما يشبه الاسلوب الذي اتبع في قطاع غزة سنة ١٩٧٠. «فالمشاكل في الجنوب وفي قطاع غزة متشابهة جدا، مخيمات لاجئين، شريط ساحلي ينطوي على مشاكل، بيارات... وهذا ما يوجد في قطاع صيدا وصور اليوم».

والصهيونيون في فلسطين يعملون للقضية الصهيونية وليس لبريطانيا، اما طبقة الوجاهات فتعمل لمصلحتها الخاصة، وهذا سر نجاح الحركة الصهيونية. «فالصهيونية تعمل لمصلحتها